

الكاتب: ط.د/ منال الهويملي

عنوان المقال: الفاعلون الاقتصاديون

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة

بمدينة صفاقس ودورهم في الازدهار

تونس

الاقتصادي في الايالة التونسية خلال الفترة

الحديثة: عائلة الجلولي وعلاقتها مع يوسف

صاحب الطابع

البريد الالكتروني: manelhouimli@ymail.com

تاريخ الارسال: 2019/07/28 تاريخ القبول: 2019/08/19 تاريخ النشر: 2019/09/30

الفاعلون الاقتصاديون بمدينة صفاقس ودورهم في الازدهار الاقتصادي في الايالة التونسية خلال

الفترة الحديثة: عائلة الجلولي وعلاقتها مع يوسف صاحب الطابع

Economic actors in the city of Sfax and their role in the economic boom in the

Tunisian Eyla during the recent period: the family of the Jalouli and its

relationship with youssef sahib tabaa

الملخص:

يهدف هذا العمل إلى معالجة علاقة صفاقس بالبحر من خلال التركيز على المبادلات التجارية مع الحوض الغربي والشرقي للمتوسط خلال الفترة الحديثة بين 1705 و 1881. كما يبين دور مدينة صفاقس في الازدهار الاقتصادي للايالة التونسية خلال فترات هامة من تاريخها الحديث ولقد وقع استعراض دور بعض الفاعلين الاقتصاديين في تنشيط الدورة التجارية لمدينة صفاقس، ومن أبرزهم عائلة الجلولي (وهي من العائلات المعروفة في البلاد التونسية والتي لعبت دورا هاما في تاريخ صفاقس خاصة والبلاد التونسية عامة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي). إن هدفنا أيضا من خلال هذا المبحث لا يكمن في تقديم معطيات جديدة من شأنها أن تقلب النتائج التي هي بين أيدينا أو تحدث تغييرا جذريا لها. ما أردناه هو فقط محاولة تقديم رؤية توضيحية لبعض المعطيات الكامنة وراء بروز مدينة صفاقس كقطب اقتصادي هام على عديد القرون و لقد جسدنا ذلك في دور فاعليها الاقتصاديين في تطور المنطقة خلال العصر الحديث وعلاقتهم مع أبرز رموز السلطة والمتجسدة خاصة في شخصية يوسف صاحب الطابع. حاولنا في هذه الدراسة الوقوف عند ثلاث نقاط هامة أولها إبراز أهمية مدينة صفاقس الاقتصادية خلال الفترة الحديثة ودورها في الحركة الاقتصادية

للإيالة التونسية، في نقطة ثانية قمنا باستعراض أهم الفاعلين الاقتصاديين لمدينة صفاقس وحاولنا تقديم تعاريف موجزة لهم. أما النقطة الثالثة التي تطرقت لها الدراسة هي علاقة العائلة بيوسف صاحب الطابع فلقد كانت علاقة تبادل اقتصادي وسياسي.

Abstract :

The aim of this work is to address Sfax 'relationship with the sea through focusing on trade with the western and eastern basin of the Mediterranean during the modern period between 1705 and 1881. It also shows the role sfax city in the economic progress of the Tunisian Eyala during important periods of its recent history. The role of some economic actors in the revitalization of the commercial cycle of Sfax was also highlighted. The most prominent of these is the Galouli family (a well-known family in the Tunisian country that played an important role in the history of Sfax, And Tunisia in general, both economically and politically. Our goal, too, is not to introduce new data that will alter or radically alter the results that are in our hands. What we wanted to do was simply poriding an explanatory view of some of the facts underlying the emergence of the city of Sfax as an important economic pole over many centuries. We embodied this in the role of its economic actors in the development of the region during the modern era and their relationship with the most prominent symbols of authority embodied especially in Youssef Saheb Tabaa. this study we tried to stand at three important points: first to highlight the importance of the economic city of Sfax during the recent period and its role in the economic mobility of the Tunisian Agency. Second point we reviewed the most important economic actors of the city of Sfax and we tried to provide brief definitions for them. Third point we dealt with is the relationship of The Family with Youssef Saheb Tabaa which was a one of economic and political exchange.

عرفت صفاقس باسمها البربري " سيفاكس " واسمها الروماني تبرورة Taqarura ولقد اعتمدت الحياة بالمدينة الرومانية تبرورة على الفلاحة وكذلك على الصيد البحري بحيث كانت زراعة الزيتون مزدهرة كما اعتمدت المدينة على زراعة الكروم والتين. أثمرت منتجات الأرض والبحر تجارة مزدهرة مع تجار يأتون من مناطق مختلفة, خلال الفترة الحفصية ازدهرت التجارة التي أصبحت نشاطا رئيسيا بالنسبة لسكان مدينة صفاقس.

تواصل ازدهار النشاط التجاري للمنطقة مع الفترة الحديثة حيث تطورت المبادلات التجارية مع العالم الشرقي من دمشق واسطنبول. لمدينة صفاقس دور هام ونشط في التجارة الشرقية كما لعبت المنطقة دورا في علاقة الايالة التونسية مع العالم العثماني الشرقي .

لصفاقس إذا أهمية اقتصادية استثنائية في البلاد التونسية مما جعل البعض يسمونها "العاصمة الاقتصادية". اكتسبت صفاقس هذه الأهمية الاقتصادية نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي يملك منفذا على البحر. اخترنا خلال الورقات التي قمنا بكتابتها في إطار ملتقى "صفاقس من تفرورة إلى تبرورة " أيام 28 و 29 أفريل 2016 إحدى الإشكاليات التي اقترحتها لجنة الملتقى وهي إشكالية مدينة صفاقس والبحر .

سنحاول خلال هذا المقال معالجة إشكالية علاقة صفاقس بالبحر من خلال التركيز على دور مدينة صفاقس الاقتصادي في اية تونس خلال الفترة الحديثة. سنعمل خلال هذه المقال أيضا على إبراز دور بعض العائلات الصفاقسية التي اشتهر معظم أفرادها بتعاطي النشاط التجاري. لاحظنا أثناء قراءتنا لوثائق الأرشيف في إطار موضوع بحثنا لرسالة الماجستير والذي حمل عنوان " يوسف صاحب الطابع: جرد لرصيد الوثائقي المتعلق بتجارته الخاصة " وأطروحة الدكتوراه التي نحن بصدد انجازها وهي " رجال السياسة والشأن الاقتصادي في اية تونس بين 1705 و 1881". لاحظنا انخراط هذه العائلات في الدورة الاقتصادية للاية التونسية خلال الفترة الحديثة. كما لاحظنا أيضا علاقة عائلة الجلولي بيوسف صاحب الطابع ويمكن أن تندرج هذه النقطة ضمن إحدى الإشكاليات التي كانت قد اقترحتها لجنة الملتقى وهي علاقة مدينة صفاقس بالمجال الوطني المركزي.

1. تعريف مدينة صفاقس ودورها الاقتصادي

صفاقس هي مدينة بحرية متوسطة تعاملت مع بلدان البحر الأبيض المتوسط الشرقية والغربية وتأثرت بما ساد حوضيه من تقلبات و هزات . إن مدينة صفاقس كانت ولا تزال مركز

منطقة واسعة عرفت في العصر الروماني والعصر البيزنطي حركة اقتصادية نشيطة شملت الفلاحة والتجارة والصيد البحري وكان لها ارتباط وثيق مع المدن الشرقية المتوسطة. بدأت بوادر الانطلاقة الاقتصادية الحديثة لمدينة صفاقس خلال القرن السابع عشر ونمت المدينة و نشأت شيئا فشيئا. أنجبت المنطقة ثلة من الفاعلين الاقتصاديين الذين برعوا في المجال التجاري، وهذا ليس بغريب على المنطقة التي تعتبر إلى يومنا هذا مجالا حيويا للحياة الاقتصادية. حيث برزت التجارة بصفاقس كحركة اقتصادية أساسية منذ انطلاقة المدينة، وتميز الصفاقسيون بتعاطي هذه الحركة بكل نشاط وحذق.

فلقد عرفت منطقة صفاقس حركة تجارية هامة طيلة عشرة قرون تخللتها حلقات ظرفية من التقهقر والضعف كان من أهم أسبابها السبب السياسي، الديمغرافي الحربي وهي أسباب قد تكون متعلقة بالبلاد التونسية أو مرتبطة بأوضاع البحر المتوسط والبلاد الأوروبية والشرقية.

II. الفاعلون الاقتصاديون بمدينة صفاقس خلال العصر الحديث

اشتهرت بعض العائلات التونسية بحذقها للتجارة، وقامت بدور فعال في تجارة البلاد التونسية وقد توارث أفرادها أساليب المهنة وأسرارها واكتسبت هذه العائلات الثروة والوجاهة والنفوذ وتبوأت مكانة مرموقة في المجتمع وتبوأت مكانة مرموقة في المجتمع قوامها الإحترام والتقدير. تمكنت بعض العائلات الصفاقسية الوجهة من تدعيم نفوذها السياسي والاقتصادي خلال العهد الحديث، إذ نشهد صعود عائلات محلية في السلم الاجتماعي على عهد حسين بن علي رغم تراجع مكانتها على عهد علي باشا وذلك إلى حدود 1756. شهدت هذه العائلات منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ارتقاء اجتماعي صاحبه تكون سلالات من القياد- اللزامة. إنخرط عدد هام من العائلات الصفاقسية بصفة مباشرة أو غير مباشر في النشاط التجاري وذلك منذ منتصف القرن الثامن عشر، فقد أقدمت 95 عائلة على هذا النشاط الاقتصادي وهو ما يمثل حوالي 46% من العائلات القاطنة بالمدينة.

تتمثل أبرز هذه العائلات في عائلة اللوز ومنهم محمد اللوز وهو تاجر مارس النشاط التجاري منذ أن كان قاطنا في مدينة صفاقس وحتى بعد مرحلة انتقاله إلى مدينة تونس وما رافق ذلك من تحولات هامة باعتبار أهمية سوق مدينة تونس من حيث كثافة النشاط التجاري وتعدد الأطراف وبالتالي فإن كل هذه المعطيات مهدت للتاجر محمد اللوز عملية الارتباط بعلاقة مصالح وتواصل مع السلطة السياسية. تحدثت الوثائق الأرشيفية على الدور الفعال الذي

لعبته عائلة اللوز الصفاقسية في النشاط الاقتصادي للمنطقة حيث تعاطى أفراد العائلة لنشاط التجاري ولبعض المعاملات المالية كالإقراض والسلف .

من بين الفاعلين الاقتصاديين الذين أسهموا في تطور المنطقة اقتصاديا نجد عائلة السلامي وهي أسرة صفاقسية عريقة اشتهرت بعملها التجاري منذ أمد طويل وكان لها دور كبير في التجارة التونسية المصرية . تعتبر عائلة السلامي إذا من العائلات التونسية التي كانت تمارس التجارة مع المشرق عن طريق فرعين جينياالوجين، يتمثل الفرع الأول في شخص حمودة وإبنه محمد السلامي أما الفرع الثاني فيكون على رأسه التاجر بنور السلامي. كان آل السلامي من أبرز المساهمين في التجارة مع أوروبا ولا سيما مع القرنة و مرسيليا و لقد إمتد النشاط التجاري لهذه العائلة بين 1783 و 1873.

تعاملت عائلة السلامي اقتصاديا مع عائلات أخرى من سكان مدينة صفاقس حيث وجدنا أثناء دراستنا لوثائق الأرشيف الخاصة ببيوسف صاحب الطابع معاملات إقراض قامت بين عائلة السلامي وعائلة اللوز حيث قبض محمد السلامي من أحمد اللوز أربعين ألف ريال ومائة ريال واحدة وخمسة وأربعين ريال منها ثلاثون ريال ومائة واحدة وخمسة وأربعون ريال على وجه الإقراض . من أبرز هذه العائلات أيضا نجد عائلة مقديش ولقد احترف عدد من أفرادها التجارة ومن بينهم محمود مقديش الصفاقسي " أقبل على دنياه متاجره ثم تقدم وكيلًا على عشر الزيت وشرائه للدولة، ونالته بذلك المحنة على يد الوزير شاكير صاحب الطابع " . احترف إذا عدد من هذه العائلة التجارة ومن بينهم الحاج أحمد والحاج محمد وحسن مقديش . نجد أيضا من بين أبرز العائلات الصفاقسية التي تعاطت التجارة هي عائلة الفندري ومنها الحاج محمد والحاج أحمد وعلي ثم نجد عائلة النوري ومنها علي بن محمد ومحمد بن حميدة بن أحمد نجد أيضا عائلة الشرفي التي كانت تتعاطى لنشاط التجاري وعائلة الشعبوني، كما اشتهرت عائلات غريال والمسدي ودمق والفخفاخ وعبد المولى والعش ...

كان للتجار أصيلي مدينة صفاقس دورا بارزا في تجارة تونس ولقد أشع التاجر الصفاقسي انطلاقا من مدينته، كما اعتبر التجار الصفاقسيون من أصحاب المبادرة فهم لا يتركون مكانا لمنافسهم في مدينتهم باستثناء تجار الفخار و الخزف الجريين وهذا النفور من التاجر "البراني" قد يكون وراء قلّة التجار غير الصفاقسيين بالمدينة . من أبرز هذه العائلات عائلة الجلولي أيضا والتي خصصنا لها حيز هام من هذا المقال وذلك كأحد الفاعلين الاقتصاديين في

مدينة صفاقس نظرا لارتباط هذه العائلة الوثيق بمملوكها يوسف صاحب الطابع حيث خدم كلا الطرفين مصلحة الآخر زمن تولي صاحب الطابع خطة " الوزارة".

III. عائلة الجلولي: دورها الاقتصادي في مدينة صفاقس وعلاقتها بيوسف صاحب الطابع
1) نبذة موجزة عن عائلة الجلولي :

عائلة الجلولي هي من العائلات التي لعبت دورا هاما في تاريخ صفاقس خاصة والبلاد التونسية عموما وذلك على الصعيد الاقتصادي والسياسي خلال الفترة الحديثة. اشتهرت عائلة الجلولي بممارستها لنشاط التجاري وكونوا ثروات طائلة مكنتهم من كسب علاقات متينة مع السلطة. تعتبر هذه العائلة من العائلات القديمة على حد قول ابن أبي الضياف الذي أرجع بروزها على الساحة السياسية إلى العهد الحفصي، لكن بالنسبة إلى الفترة الحسينية فالبداية كانت مع توسع الاعتماد على الأعيان المحليين كأداة تمفصل بين المجال المحلي والمركز السياسي بمدينة تونس. تعتبر عائلة الجلولي في صفاقس "من البيوت المشهورة وآثارهم مأثورة"

نجحت عائلة الجلولي في المحافظة على مكانتها داخل مدينة صفاقس رغم انتقال بعض أفرادها إلى المركز، فلقد قدمت العائلة العديد من كبار رجال الدولة وأهمهم بكار الجلولي الذي احتكر لفترة طويلة قيادة صفاقس وفمرقها إلى جانب قيادة المثاليث .

تعتبر عائلة الجلولي أنموذجا للعائلات التي اعتمدت عليها السلطة المركزية خلال العصر الحديث لتدعيم جهاز الحكم، انخرطت هذه العائلة في خدمة الدولة منذ العهد الحفصي وتواصل انشغال أبنائها بالخدمة المخزنية على أيام المراديين والحسينيين ولقد عرفت أنشطتها نموا مطردا بين أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 أي مع فترة وزارة يوسف خوجة صاحب الطابع الذي يعتبر أحد ممالك العائلة في الأصل .

من أبرز ممثلي هذه العائلة هو محمود الجلولي الذي يعتبر أول من انتقل للعيش بمدينة تونس، حيث استقر بدار رجب خزندار ويعتبر محمود الجلولي من بين أكبر المساهمين في التجارة والقرصنة، كما تقلد القيادات الأكثر أهمية بالنسبة إلى المنتجات المصدرة إلى أوروبا والمشرق لاسيما الزيت هذا بالإضافة إلى إشرافه على القمرق منذ سنة 1219 هـ / 1804 - 1805م، كما ربط محمود الجلولي علاقات تجارية بيوسف صاحب الطابع والباي ويعبر هذا عن وجود ارتباط وثيق بين عائلة الجلولي ومملوكها .

2) الأنشطة الاقتصادية للعائلة

قسمت أنشطة آل الجلولي الاقتصادية بين أنشطة ثانوية وهي الفلاحة وأنشطة رئيسية وهي التجارة ومعاملات الإقراض.

أ- النشاط الفلاحي

بالرغم من اهتمام أفراد عائلة الجلولي بالنشاط التجاري وبمعاملات الإقراض إلا أن العائلة قد كان لها إهتمام بالنشاط الفلاحي، حيث يعتبر الاستثمار في الأرض إحدى العادات المترسخة لدى المجتمع الصفاقسي وهي طريقة للحفاظ على الإرث العائلي وضمان مداخيل قارة خاصة مع سنوات تراجع النشاط التجاري .

امتدت العديد من الأراضي الفلاحية حول مدينة صفاقس واعتبرت هذه الأراضي مجالا لزراعة أو تعاطي تربية الماشية أو غراسة الزيتون. اعتبرت غراسة الزيتون من بين الأنشطة الفلاحية التي سعى آل الجلولي إلى تعاطيها نظرا للأرباح التي توفرها تجارة الزيت فلقد كانت مادة الزيت مطلوبة في الأسواق الأوروبية. ساهم امتلاك آل الجلولي إذا لغابات شاسعة من الزيتون في توفير كميات من الزيتون قصد التصدير وهي من العوامل التي ساهمت في زيادة استغلال الأراضي الفلاحية وذلك لتوفير فوائض إنتاج هامة .

ب- النشاط التجاري

التجارة حركة اقتصادية فاعلة في كل مجتمع منظم وهي حركة مرموقة ومربحة وتعطي لصاحبها العز والجاه إن احترم قواعدها والتزم بمبادئ مجتمعه فيها والإسلام حث عليها ووظبط قواعدها وأسسها . ساهم آل الجلولي في العمليات التجارية للآيالة التونسية عامة ومدينة صفاقس خاصة خلال الفترة الحديثة. ولقد ازدادت مشاركتهم في التجارة خاصة مع تولي محمود الجلولي مهام القمرك واحتكاره لمختلف الصادرات الأساسية التونسية من زيوت وحبوب .

محمود الجلولي : ولد محمود الجلولي سنة 1164هـ/ 1750 م بمدينة صفاقس وهو ابن بكار بن علي بن فرحات الجلولي وقد توفي بتونس سنة 1255هـ/ 1839 م أي عن سن تقارب 89 عاما. كانت نشأته بصفاقس ومن المفروض أنه تلقى تكوينا من أبيه بكار الذي دربه على مختلف الأعمال المخزنية قصد تأهيله لوظيفة "المخازني" على غرار بقية أفراد العائلة . وهو بذلك أول من انتقل إلى مدينة تونس من آل الجلولي واعتبر أيضا من أكبر المساهمين في التجارة

والقرصنة كما اتخذ محمود الجلولي دور الوساطة بين رجال الأعمال المقيمين بالعاصمة والتجار الصفاقسيين.

تاجر أفراد العائلة مع مناطق مختلفة من العالم أولها منطقة المشرق من مصر وسوريا وتركيا خاصة بتصدير الشاشية التي أخذت رواجاً كبيراً وازدهرت تجارتها خاصة على عهد حمودة باشا الحسيني الذي عرف عهده برخاء اقتصادي هام ولقد اعتبرت الشاشية المحرك الأساسي لتجارة الإيالة الخارجية في زمن ما باعتبارها من أكثر المنتجات تصديراً في الفترة الحديثة، كما ساهم هذا المنتج في تنشيط الدورة الاقتصادية للبلاد. ارتاد أفراد العائلة أيضاً على مناطق أخرى لتجارة مثل القرنة ومرسلياً.

ج- القرصنة

تعتبر القرصنة أحد أهم الأنشطة التي كونت قسماً هاماً من ثروة هذه العائلة في وقت ما، فلقد كانت الغنائم الآتية عن طريق هذه العملية تساعد في الإثراء السريع لممارستها خاصة عن طريق الفدية التي يقع طلبها مقابل الأسرى المحتجزين من الأجانب. ولقد ازدهرت القرصنة بمدينة صفاقس نظراً للأرباح الكبيرة التي يحققها هذا النشاط.

كان محمود الجلولي ناشطاً في العمليات القرصنية بحيث كان يجهز السفن المعدة لغاية القرصنة والتي كانت حكراً على الأوساط الحاكمة والأعيان المرتبطين بهم. للقرصنة أيضاً دور في الحياة الاقتصادية للإيالة التونسية وهي مرتبطة بالتجارة إذ توفر للقطاع التجاري بضائع مختلفة كالعبيد والأسرى والسفن. شارك محمود الجلولي في هذا النشاط بصفة مكثفة على إثر إنتقاله إلى العاصمة سنة 1805 وأصبح من أهم رجال الفمارق وذلك بفضل دعم يوسف صاحب الطابع له بحيث جعله من أكبر تجار الإيالة وأقربهم للبياليك. استفاد آل الجلولي من أرباح الأنشطة البحرية التي كانوا يمارسونها ولقد أمكن لهم ذلك تكوين ثروات هائلة قاموا بتوظيفها في شراء الأراضي الفلاحية والعقارية.

ساهم إذا النشاط القرصني في تدعيم موارد الأوساط الحاكمة من جهة ومن جهة أخرى أدى إلى إثراء بعض الأعيان المحليين كأفراد عائلة الجلولي وهذا كان خاصة في أواخر القرن الثامن عشر. إلا أن هذا النشاط سيتراجع خاصة سنة 1815 وهو تاريخ تغير ميزان القوى داخل البحر المتوسط حيث شهد النشاط القرصني تقلصاً ملحوظاً كما تراجع عدد المرتبطين به.

د- المعاملات المالية: الإقراض

الإقراض وهو عقد إتفاق بين شخصين أو أكثر في العمليات التجارية، بحيث يساهم الأول برأس المال والثاني بالعمل ويتفقان على تقاسم الأرباح مسبقاً. إنتشر العمل بالإقراض بصفة هامة خاصة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أي على عهد حمودة باشا الحسيني (1782 – 1814). بالنسبة لتعريف ابن منظور القرض ما يتجاوز به الناس بينهم ويتقاضونه وجمعه قروض وهو ما أسلفه من إحسان وإساءة، ويقال أقرضت فلانا وكل أمر يتجاوز به الناس فيما بينهم فهو من القروض والقرض ما يعطيه من المال ليقضاه، و إسقرض من فلان أي طلب منه القرض فأقرضه وأقرضت منه أي أخذت منه القرض فأقرضني "القرض" في كلام أهل الحجاز المضاربة.

الإقراض هو بمثابة الشركة بين صنفين مختلفين من التجار أي بين المقرض وهو صاحب المال أو التاجر المقرض ويملك هذا التاجر الأموال والطرف الثاني في عملية الإقراض هو من يأخذ القرض ويستثمره أي قارض المال، ويمكن أن يكون تاجر واحد أو أكثر وينتهي الطرف الثاني عادة إلى الصنف الأخير من التجار أي التجار المتوسطين أو الصغار. تحتوي أغلبية الوثائق الخاصة بالإقراض على الترتيب التالي وهو ما يعرف بشكل عقد الإقراض، ففي البداية يذكر إسم المقرض أي صاحب المال، ثم يقع ذكر إسم من قام بأخذ القرض مع ذكر مهنته (مثال تاجر) ثم يأتي ذكر قيمة القرض الذي يمكن أن يكون نقداً أي بالريالات أو عينيا عن طريق كميات من البضائع مثلاً شاشية، وفي الأخير يقع تحديد نصيب الطرفين من الربح.

مارست عائلة الجلولي عملية الإقراض كسائر التجار الصفاقسيين مثل عائلة اللوز الممثلة خاصة في شخصية محمد اللوز الصفاقسي حيث وجدنا ضمن وثائق الأرشيف رسوم لعمليات إقراض لهذه العائلة حيث "قبض مثلاً الحاج حميدة من الحاج بالضياف وأحمد اللوز العشرة آلاف ريال والثلاثة وسبعين ريال على وجه الإقراض". كما مارس أفراد عائلة السلامي أيضاً لمعاملات الإقراض حيث أخذ أغلب تجارها أموال من يوسف صاحب الطابع على وجه الإقراض.

تعامل آل الجلولي على مستوى معاملات الإقراض خاصة مع يوسف صاحب الطابع حيث نجد رسائل ضمن دفاتر المتجر تدل على استقراض أفراد العائلة من يوسف صاحب الطابع أموال

على وجه الإقراض، كما تعاملوا أيضا مع عائلات صفاقسية أو جربية سوى أن كانوا ضمن الطرف القارض أو المقرض.

ساهمت عمليات الإقراض في توليد رؤوس الأموال بحيث يقوم أغلب التجار بإستقراض أموال على "وجه" القراض" ويستثمرون تلك الأموال في أعمال تجارية مربحة توفر لهم بدورها أموال قد يستخدمونها في الإقراض لتجار آخرين، أي هناك تلازم وتكامل بين النشاط التجاري وعملية الإقراض. ساهمت ممارسة الإقراض في ازدياد حجم رؤوس الأموال المستثمرة في التجارة ولقد نشطت التجارة الخارجية خاصة خلال القرن الثامن عشر وجنى أغلب التجار التونسيين أرباحا طائلة وأصبحت تجارة تونس الخارجية بأيدي بعض الأعيان من أفراد عائلة الجلولي فهم الذين كانوا يسيطرون على نصيب هام من تجارة الايالة عامة وصفاقس خاصة. تمرس تجار عائلة الجلولي إذا بالعمل بالتجارة الخارجية وجنوا أرباح طائلة جعلتهم يكونون ثروات هامة.

هذه كانت إذا مجمل الأنشطة الاقتصادية التي مارسها أفراد عائلة الجلولي ولقد فضلنا التركيز على التجارة الخارجية ومعاملات الإقراض أولا لأن الفلاحة بالرغم من تواصل الاعتماد عليها من قبل سكان مدينة صفاقس إلا أنها قد أصبحت نشاطا ثانويا خاصة على عهد حمودة باشا الذي شجع على الاتجار في الخارج وأصدر في ذلك قرارات تشجيعية من أبرزها الترخيص في تصدير الزيت والحبوب لبعض التونسيين، التخفيض في المعاليم الجمركية...

IV. علاقة يوسف صاحب الطابع بعائلة الجلولي

1) يوسف صاحب الطابع: مولده ومنشأه

هو أبو المحاسن يوسف خوجة صاحب الطابع أصله من ولاية مولدافيا العثمانية المعروفة بإسم البغدان في ذلك الوقت. ولد في بداية النصف الثاني من القرن 18 حوالي 1765؟ قدم "الزمرلي" في مقاله "يوسف صاحب الطابع" معلومات عن حياته قبل بيعه كعبد إلى القايد بكار الجلولي. حيث يشير إلى أن يوسف صاحب الطابع قد قدم إلى مولدافيا وهو شاب وذلك من منطقة القوقاز أو جزيرة القوقاز ووصل إلى القسطنطينية في سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر.

يوسف صاحب الطابع من المماليك الذين يعتبرون من غير المسلمين يقع شراؤهم فيصبحون عبيدا وعلى ملك الباي. يأتي أغلبهم من الجزر اليونانية ومن القوقاز ويتم تكوينهم دينيا إسلاميا

بهدف التعرف على قواعد الدين الإسلامي، ثم يتم تكوينهم لإدماجهم في مختلف الخطط العسكرية . وقع بيع صاحب الطابع كعبد في أسواق العبيد بإستانبول واشتره أحد تجار بن القهوة فيها وهو القايد بكار الجلولي.

2) علاقة عائلة الجلولي بيوسف صاحب الطابع

إنتقل يوسف صاحب الطابع مع سيده بكار الجلولي للإقامة بصفاقس بعد أن تم شرائه وقضى مدة هناك قبل انتقاله إلى بلاط باردو. خلال هذه الفترة حرص سيده على تعليمه لغة البلاد وعاداتها، كما حرص أيضا على تلقين يوسف صاحب الطابع كل ذلك داخل منطقة صفاقس بالرغم من التواجد الدائم لبيكار الجلولي في تونس.

خلال تلك الفترة التي قضاها داخل صفاقس حصل تقارب بينه وبين أهالي المنطقة وخاصة آل الجلولي التي ربطته بهم علاقة جيدة خاصة على المستوى الاقتصادي نظرا لدرايتهم الكبيرة بهذا المجال، كما لعب هو أيضا دورا في تقلدهم مناصبا سياسية هامة أثناء تطور مكانته داخل بلاط باردو. ارتبط إسم يوسف صاحب الطابع داخل مجال المال والتجارة بعائلة الجلولي، وكان ذلك لما إشتراه القايد بكار الجلولي من إسطنبول وانتقل للعيش معه في مدينة صفاقس.

وهنا ينبغي الإشارة إلى الدور الأساسي الذي لعبه يوسف خوجة صاحب الطابع وهو نفسه الدور الذي جعل محمود الجلولي من أكبر تجار الايالة ومن أقرب المقربين للبياليك فقد اشتركا كلا الطرفين في عدة عمليات تجارية وكانا يشاركان أيضا التجار الصفاقسيين معهما.

تدعم إذا نفوذ آل الجلولي الاقتصادي والسياسي نظرا لارتباطهم بيوسف صاحب الطابع الذي جمعته بهذه العائلة علاقة منذ صغره حيث تلقن عنهم وحذق فنون التجارة ويمكن اعتبار ذلك من عوامل بروز نشاطه الاقتصادي الذي جنى منه ثروات طائلة. كما ساهم يوسف صاحب الطابع من جهة أخرى في نجاح المسيرة المهنية لهذه العائلة وذلك خاصة أثناء توليه منصب "الوزير".

تعامل يوسف صاحب الطابع مع شبكة موسعة من الوكلاء التجاريين شملت عائلات مختلفة خاصة من أصيلي منطقة جربة كعائلة بن عياد أو أصيلي صفاقس كعائلة الجلولي كما سبق وذكرنا. وجدنا أثناء قراءتنا لبعض وثائق الأرشيف من السلاسل التاريخية ودفاتر المتجر أو دفاتر مداخيل ومصاريف الدولة تواجد شبكة علاقات موسعة ليوسف صاحب الطابع

شملت هذه الشبكة خاصة أفراد من عائلات صفاقسية سوى من أسرة السلامي، اللوز أو الجلولي التي نذكر منها محمود الجلولي الذي ربطته علاقات تجارية بيوسف صاحب الطابع. حيث كان محمود الجلولي يفوق صاحب الطابع سنا وهو ما يترجم عن عبارات التقدير المتداولة في الرسائل بين يوسف صاحب الطابع ومحمود الجلولي.

من هنا نفهم أن يوسف صاحب الطابع قد ربطته علاقة بالأعيان المحليين التونسيين خاصة أعيان مدينة صفاقس المتمثلة في عائلة الجلولي، والتي كانت عاملا ربما من عوامل بروز نشاطه التجاري، خاصة وأن هؤلاء الأعيان المحليين قد إرتبطت أسماءهم بمجال المال والتجارة وحصلت الاستفادة لكلا الطرفين. بالنسبة ليوسف صاحب الطابع إستفاد من خبرة هؤلاء الأعيان داخل المجال التجاري خاصة بالنسبة لمن كان ينتمي لمدينة صفاقس. أما بالنسبة لهم فقد إستفادوا من توسع نفوذه داخل بلاط باردو وتقربه من الباي خاصة حمودة باشا الحسيني.

الخلاصة

حاولنا في هذه الدراسة الوقوف عند ثلاث نقاط هامة أولها إبراز أهمية مدينة صفاقس الاقتصادية خلال الفترة الحديثة ودورها في الحركية الاقتصادية للولاية التونسية، ثم في نقطة ثانية قمنا باستعراض أهم الفاعلين الاقتصاديين لمدينة صفاقس وحاولنا تقديم تعاريف موجزة لهم هذا ولقد فضلنا التركيز على عائلة الجلولي التي اظطلعت بدور هام في تنشيط الحياة الاقتصادية للولاية التونسية عامة وصفاقس خاصة من خلال التعرف على أهم الأنشطة الاقتصادية التي تعاطتها هذه العائلة. أما النقطة الثالثة التي تطرقت لها الدراسة هي علاقة العائلة بيوسف صاحب الطابع فلقد كانت هذه العلاقة متبادلة، من جهة ساهمت العائلة في تكوين النشاط الاقتصادي ليوسف صاحب الطابع نظرا لدراية أغلبيهم بعالم المال والأعمال ونظرا لاحتكاك صاحب الطابع بأهالي المنطقة طوال إقامته داخل عائلة الجلولي. من جهة أخرى أخذت علاقة عائلة الجلولي بيوسف صاحب الطابع بعدا سياسيا حيث ساهم هذا الأخير في ارتقاء أبناء العائلة مهنيا لما انتقلوا للعيش في مدينة تونس. هناك إذا علاقة متكاملة ومترابطة بين عائلة الجلولي ويوسف صاحب الطابع ولقد أنتجت هذه العلاقة تمازج بين الشأن الاقتصادي والسياسي.

لقد رمنا دراسة هذه العائلة لا فقط للوقوف عند أبرز محطاتها التاريخية فقط أو إبراز أنشطتها الاقتصادية فغيرنا قد اهتم بذلك وهناك العديد من الدراسات التي تحدثت عن ذلك. إن رغبتنا كانت تصبو إلى دراسة أهم الفاعلين الاقتصاديين لمدينة صفاقس خلال الفترة الحديثة ودورهم في تطور المنطقة اقتصاديا، واختيارنا للعائلة الجلولي بصفة خاصة هو نتاج لما كنا قد اطلعنا عليه سابقا من وثائق الأرشيف ودراسات أثناء انجازنا لرسالة الماجستير التي تحدثنا فيها عن النشاط الاقتصادي ليوסף صاحب الطابع، وهنا لاحظنا مدى التقارب بين هذه الشخصية وعائلة الجلولي.

تمثل هدفنا أيضا من خلال دراسة هذه العائلة بصفة عامة هو إبراز علاقة مدينة صفاقس بالمركز خاصة مع تنامي انتقال أعيان المناطق المحلية إلى مدينة صفاقس وتحول بالتالي نفوذهم من المحلي إلى المركزي. وهذه الظاهرة أي تنامي الاعتماد على الأعيان المحليين ظهرت خاصة مع أوائل الفترة الحسينية وأخذت بعدا أشمل مع فترة علي باي وابنه حمودة باشا الحسيني حيث تزايد الاعتماد على الأعيان المحليين في مدينة تونس وعرفوا بالتالي ارتفاع اجتماعي هام كما تحصلوا على خطط سياسية هامة في صلب السلطة المركزية وأصبح بالتالي نفوذهم يشمل المجال المحلي وكذلك المركز.

قائمة المصادر والمراجع

1. المصادر الأرشيفية

رتبت هذه السجلات حسب تسلسلها العددي ووقع الإعتماد لضبط عناوينها بدرجة أولى على ما أورده الأستاذ المنتصف الفخاخ في كتاب موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي.

② دفاتر مصاريف ومداخيل الدولة

- دفتر رقم 368: مداخيل بيت خزندار من سراحات من ميناء حلق الوادي وصفاقس وجربة والمنستير وقليبية بالنسبة لعدة بضائع، محاسبة بعض القياد على "الاتفاق" ومحاسبة وكلاء على أملاك وديون في ذمة تجار وشراء أسلحة من مالطا عن طريق محمود الجلولي منتصف 1226 هـ / منتصف 1811 م.
- ② دفاتر المتجر

- دفتر رقم: 2327: محاسبة الحاج يونس بن يونس على الأموال التي يتولى تصديرها.
- دفتر رقم: 2330: دفتر ليوסף صاحب الطابع به حسابات متفرقة وأموال متخلفة عند أشخاص أو مسبقا لهم للقيام ببعض المهات وخاصة المتاجرة و"سراحات" وغنائم ومداخيل عادية لدولة.

- دفتر رقم 2331 : محاسبة يوسف صاحب الطابع لأشخاص من تجار و"عمال" ووكلاء على العمليات التجارية التي يشاركون فيها سواء داخل البلاد أو خارجها .

السلسلة التاريخية ⁷

المحتوى	التاريخ	عدد الوثائق	الملف الفرعي (المجلد)	الملف	الحافظة
مراسلات خاصة بيوسف خوجة صاحب الطابع وتواصل مالية ورسوم لأملاكه مع ترجمة مقتضبة لسيرته	-1787 1828	86	15	33	3
			16	33	3

2. المصادر المكتوبة

- ابن أبي ضياف (أحمد) "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس 2004.
- 3. المعاجم
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1997 .
- 4. أدوات العمل
- الفخفاخ (منصف)، موجز الدفاتر الجبائية والإدارية بأرشيف دارالباي مصدر وثائقي للحياة الاقتصادية والاجتماعية لتونس في العهد العثماني، ثلاث أجزاء، شهادة التعمق في البحث، تحت إشراف عبد الجليل التميمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس- ماي 1985
- 5. قائمة المراجع

- جراد (المهدي)، عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني (1705-1881) كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (وحدة البحث "التاريخ الاقتصادي والاجتماعي") والأرشيف الوطني التونسي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 2011.
- جراد (المهدي)، عائلة الجلولي من النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى 1830، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، إشراف الأستاذ الصادق بوبكر، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2000-2001.
- العليي (عبد الكريم): دراسة التراكم المالي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر من خلال تحليل ودراسة شخصية محمد اللوز الصفاقسي ونشاطه التجاري، شهادة الدراسات المعمقة إشراف الأستاذ عبد الحميد هنية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2001-2002.
- المستغاني (محمد فوزي)، بلاط باردو زمن حمودة باشا 1782 – 1814، شهادة الدكتوراه تحت إشراف الأستاذ عبد الحميد هنية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، تونس 2007.
- فروة (محمود): التجارة والتجار في تونس (1881-1956)، النشر لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس 2009.
- 6. قائمة المقالات
- باللغة العربية
- الزواري (علي)، "العلاقات التجارية بين تونس والشرق في القرن الثامن عشر من خلال قضية القراض"، المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)، العدد 29-30، تونس 1983، ص ص 213-224.
- الزواري (علي): الأسس والخصائص الثابتة للتجارة الصفاقسية حتى سنة 1881 الملتقى الدولي الأول 28 – 30 نوفمبر 1991 الحركية الاقتصادية بصفاقس بين الماضي والحاضر، جمعية صيانة مدينة صفاقس وجمعية أحياء متاحف صفاقس، نشر جمعية صيانة مدينة صفاقس 1993.
- باللغة الفرنسية
- Boubaker (Sadok), "Négoce et enrichissement individuel à Tunis du XVII siècles au début du XIX siècle", Revue d'histoire moderne et contemporaine, Année 2003, n°(50-54), pp 29-62.
- zmerli(s) :« youssef Sahâb Tabâa», les cahiers de la Tunisie, n 21 année 1935, pp 43-44.

- 1 الزواري (علي): الأسس والخصائص الثابتة للتجارة الصفاقسية حتى سنة 1881 الملتقى الدولي الأول 28 – 30 نوفمبر 1991 الحركة الاقتصادية بصفاقس بين الماضي والحاضر، جمعية صيانة مدينة صفاقس وجمعية أحياء متاحف صفاقس، نشر جمعية صيانة مدينة صفاقس 1993، ص 97.
- 2 الزواري (علي): الأسس والخصائص الثابتة للتجارة الصفاقسية حتى سنة 1881 الملتقى الدولي الأول 28 – 30 نوفمبر 1991 الحركة الاقتصادية بصفاقس بين الماضي والحاضر، جمعية صيانة مدينة صفاقس وجمعية أحياء متاحف النشر جمعية صيانة مدينة صفاقس 1993، ص 97.
- 3 فروة (محمود): التجارة والتجار في تونس (1881-1956)، جامعة تونس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2009، ص 168.
- 4 جراد (المهدي)، عائلة الجلولي من النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى 1830، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، إشراف الأستاذ الصادق بوبكر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2000 – 2001، ص 25.
- 5 فروة (محمود): المرجع ذاته، جامعة تونس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2009، ص 185.
- 6 العليبي (عبد الكريم): دراسة ملامح التركم المالي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر من خلال تحليل ودراسة شخصية محمد اللوز الصفاقسي ونشاطه التجاري، شهادة الدراسات المعمقة، تحت إشراف الأستاذ عبد الحميد هنية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، السنة الجامعية 2001 – 2002، ص 77.
- 7 أ.و.ت، السلسلة التاريخية، الصندوق 3، الملف 33، ورقة 2653، مجلد 15، مراسلات خاصة بيوسف خوجة صاحب الطابع وتواصل مالية ورسوم لأملاكه مع ترجمة مقتضبة لسيرته، وثائق رقم 5 و 8 و 14.
- 8 الزواري (علي): العلاقات التجارية بين تونس والشرق في القرن الثامن عشر من خلال قضية القراض، المجلة التاريخية المغربية للبعد الحديث والمعاصر، السنة 1983، العدد 29-30، ص 214.
- 9 جراد (المهدي): عائلات المخزن بالآيالة التونسية خلال العهد الحسيني (1705-1881)، النشر لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ووحدة البحث "التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، تونس، ص 230.
- 10 أ.و.ت: السلسلة التاريخية، الصندوق 3، الملف 33، ورقة 2653، مجلد 15، مراسلات خاصة بيوسف خوجة صاحب الطابع وتواصل مالية ورسوم لأملاكه مع ترجمة مقتضبة لسيرته، وثيقة 8.
- 11 أ.و.ت، السلسلة التاريخية، الصندوق 3، الملف 33، ورقة 2653، مجلد 15، مراسلات خاصة بيوسف خوجة صاحب الطابع وتواصل مالية ورسوم لأملاكه مع ترجمة مقتضبة لسيرته، الوثيقة ذاتها.
- 12 ابن أبي الضياف (أحمد): إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار العربية للكتاب الطبعة الثاني 2004، ج 8، ص 24.
- 13 فروة (محمود): التجارة والتجار في تونس (1881-1956)، النشر لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس 2009، ص 178.

- 14 فروة (محمود): المرجع ذاته، ص 187.
- 15 فروة (محمود): التجارة والتجار في تونس (1881-1956)، النشر لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس 2009 ص 185 .
- 16 المستغاني (محمد فوزي): بلاط باردو زمن حمودة باشا (1782 – 1814) ، شهادة الدكتوراه، تحت إشراف الأستاذ عبد الحميد هنية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس 2007 ، ص 439 و 440 .
- 17 ابن أبي الضياف (أحمد): إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر، الجزء 7 ، ص 143.
- 18 جراد (المهدي)، عائلات المخزن بالايالة التونسية خلال العهد الحسيني (1705 – 1881)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (وحدة البحث" التاريخ الاقتصادي والاجتماعي") و الأرشيف الوطني التونسي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 2011 ، ص 94.
- 19 المستغاني (محمد فوزي)، بلاط باردو زمن حمودة باشا (1782 – 1814)، شهادة الدكتوراه، تحت إشراف الأستاذ عبد الحميد هنية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، تونس 2007، ص 441 .
- 20 بالنسبة لتعريف ابن منظور: القرض ما يتجاوز به الناس بينهم ويتقاضونه وجمعه قروض وهو ما أسلفه من إحسان وإساءة، ويقال أقرضت فلانا وكل أمر يتجاوز به الناس فيما بينهم فهو من القروض والقرض ما يعطيه من المال ليقضاه. إستقرضت من فلان أي طلب منه القرض فأقرضني وأقرضت منه أي أخذت منه القرض فأقرضني "القرض" في كلام أهل الحجاز المضاربة.
- 21 جراد (المهدي)، عائلة الجلوي من النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى 1830 ، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، إشراف الأستاذ الصادق بوبكر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، السنة الجامعية 2000 – 2001 ، ص 89.
- 22 جراد (المهدي): المرجع ذاته ، الصفحة ذاتها.
- 23 الزواري (علي): الأسس والخصائص الثابتة للتجارة الصفاقسية حتى سنة 1881 ، الملتقى الدولي الأول 28 – 30 نوفمبر 1991 ، الحركية الاقتصادية بصفاقس بين الماضي والحاضر، جمعية صيانة مدينة صفاقس وجمعية أحياء متاحف صفاقس، نشر جمعية صيانة مدينة صفاقس 1993 ، ص 98 .
- 24 جراد (المهدي): عائلة الجلوي من النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى 1830 ، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، تحت إشراف الأستاذ الصادق بوبكر، جامعة تونس الأولى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس قسم التاريخ، السنة الجامعية 2000 / 2001 ، ص 66.
- 25 أ.وت ، سلسلة الدفاتر الإدارية والجبائية ، دفتر رقم 2327 ، الصفحة 27
- 26 المهدي (جراد): عائلة الجلوي من النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى 1830 ، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، تحت إشراف الأستاذ الصادق بوبكر، جامعة تونس الأولى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس قسم التاريخ، السنة الجامعية 2000 / 2001 ص 70

- المهدي (جراد): المرجع ذاته , الصفحة 79 - 80. 27
- 28 الزواري (علي) ، العلاقات التجارية بين تونس والشرق في القرن الثامن عشر من خلال قضية القراض، المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر) ، 1983 تونس ، العدد 29- 30 ، الصفحة 215 .
- 29 Boubaker (Sadok), " Négoce et enrechissement individuel à Tunis du XVII siècle au début du XIX siècle", Revue d'Histoire moderne et contemporaine, année 2003/2004, n° 50.
- 30 Zmerli (s), Youssef Sahâb Tabaa, les cahiers de la Tunisie, n° 21, pp 43-44.
- 31 جراد (المهدي) ، عائلات المخزن بالايالة التونسية خلال العهد الحسيني (1705- 1881) ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، تونس 2011 ، الصفحة 67 .
- 32 أ.و.ت ، الصندوق 3، الملف 33 ، ورقة 2653 ، مجلد 15 و16 ، مراسلات خاصة بيوسف خوجة صاحب الطابع وتواصل مالية ورسوم لأملاكه مع ترجمة مقتضبة لسيرته .
- 33 أ.و.ت: سلسلة الدفاتر الإدارية والجبائية، دفاتر المتجر، دفتر 2330 و دفتر 2331 .
- 34 أ.و.ت: سلسلة الدفاتر الإدارية والجبائية، دفاتر مصاريق ومداخل الدولة، دفتر رقم 368.